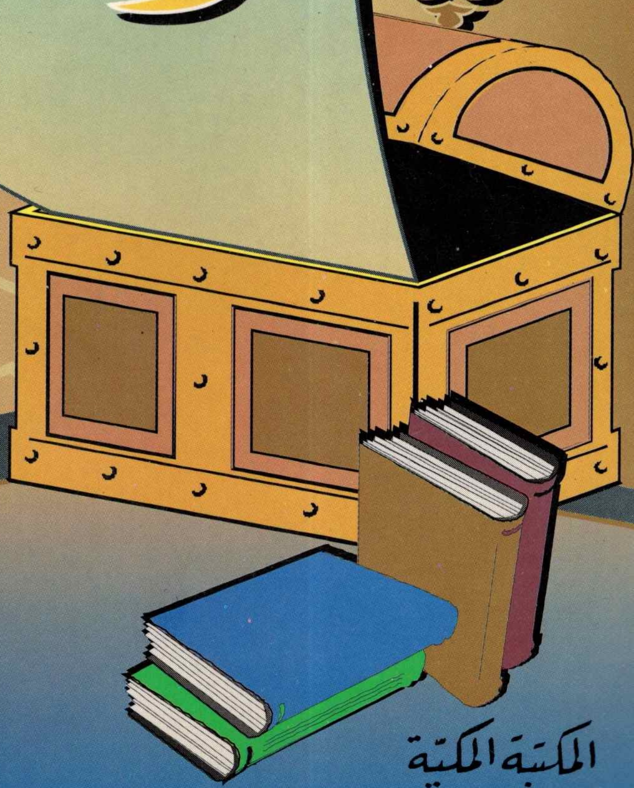
مِنْ ذخائر الإسلام

بقلم

نزيل المدينة المنورة

أحمد القلاش



المكتبة المكية

دار ابن حزم

مِنْ ذَخائِرِ الإسلام

بقلم

نزيل المدينة المنوّرة

أحمد القلّاش

المكتبة المكيّة

دار ابن حزم

من ذخائر الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أَنْعَم، والصلاة والسلام على هادي الأمم، رسول العِلْم والحِلْم والحِكَم، والفضل والنُبْل والكرم.

وبعد: فإن كل أمة تعتز بتاريخها، وتفتخر بأمجادها ورجالها وإن كان تاريخها فقيراً في الرجال، هزيلاً في الأخلاق وصفات الكمال.

أمّا هذه الأمة المحمدية فهي غَنيةٌ بأمجادها، فخورة برجالها، ذلك لأن رسولَها العظيم، ذو خُلُق عظيمٍ، وفَضْلٍ كبيرٍ، فهو المَثَلُ الكاملُ، وإلى محمد ﷺ تُرَدُّ جميعُ الفضائلِ.

وقد اقتفى أثرَه، وسلك سبيله رجالٌ شَرَّفوا تاريخ الإنسانية ببطولاتهم التي لم يُسمع بمثلها، وشمائلهم التي لا نظير لها، ففتحوا بالإسلامِ البلادَ، وسادوا بعدلهم العبادَ، وكانوا مَضْرِبَ الأمثالِ، في كُلِّ كمالٍ، فعِلْمُهم مَعِين لا ينضُب، وعَدْلُهم شامل لا يَغِيض.

وهذه «الذخائر» نَزْرٌ يسيرٌ يدل على فضلِهم، ونبوغِهم ونُبْلهم؛ وليس لنا فيها إلا وضعَ العناوين، تاركينَ التعليقَ على كل جوهرة، ليتأثر ذوق القارىء بجمالها، لأن الجمال الأصيلَ لا يحتاج إلى زُخْرُفٍ

من القول، كجمال الخِلْقة إذا تَمَّ واكتمل لم يحتج إلى طِلاء ودهان:

ومـا الحَلْي إلا زينــةٌ لنقيـصــةٍ   يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إذا الحسنُ قَصَّرا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢٨/ ربيع الأول/١٤٠٨ هـ

أحمد القلّاش

بين القرآنِ والقانون

١ ــ جاء ماعِزُ بنُ مالكٍ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله طَهِّرْني، فقال: وَيْحَكَ، ارجِعْ فاستَغْفِرِ اللَّهَ وتُبْ إليه، قال: فرجَعَ غيرَ بعيد، ثم جاء فقال: يا رسولَ الله طَهِّرْني، فقال رسولُ الله ﷺ: ويحك، ارجِعْ فاستَغْفِرِ اللَّهَ وتُبْ إليه، قال: فرجَعَ غيرَ بعيد، ثم جاء فقال: يا رسولَ الله طَهِّرْني، فقال النَّبيّ ﷺ مِثْلَ ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسولُ الله ﷺ: مِمّ أُطَهِّرُكَ؟ فقال: مِنَ الزنا، فسأل رسولُ الله ﷺ: أبِهِ جُنونٌ؟ فأُخبر أنه ليس بمجنونٍ، فقال: أَشَرِبَ خَمْراً؟ فقام رجل فاسْتَنْكَهَهُ[1]، فلم يَجِدْ منه ريحَ خَمْرٍ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: أَزَنَيْتَ؟ فقال: نعم، فأَمَرَ به فرُجِمَ، فكان الناس فيه فِرْقَتَيْنِ: قائلٌ يقول: لقد هَلَكَ، لقد أحاطتْ به خطيئتُه، وقائلٌ يقول: ما توبةٌ أفضلَ من توبةِ مَاعِزٍ، أنه جاء إلى النبي ﷺ، فوَضَعَ يدَه في يدِهِ، ثم قال: اقتُلْني بالحجارة، قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوسٌ، فسَلَّمَ ثم جلس، فقال: استَغْفِرُوا لماعِزِ بن مالك، قال: فقالوا: غَفَرَ اللَّهُ لماعِزِ بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: لقد تابَ توبةً لو قُسِّمَتْ بين أُمّة لوَسِعَتْهم[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أَتَى ماعزُ بن مالك

---

(١) أي: شَمَّ رائحة فمه.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» ١١: ١٩٩.

النبيَّ ﷺ قـال له: لعلَّك قَبَّلْتَ أو غَمَـزْتَ أو نـظرتَ؟ قـال: لا يـا رسول الله، قال: فعند ذلك أمر برجمه[1].

٢ ــ تحاول الشعوبُ الهـربَ من ضرائبَ مـاليةٍ يفـرضها قـانونٌ أرضي، كَتَبَتْه نفوسٌ خبيثة ظالمة، بأيدٍ فاجرة آثمة، تحاول شتى أنواع الاحتيال في سرقة أموال الناس لتحويلها إلى جيوبها، أو إنفاقِها في سبيل السُّكر والعُهْر.

٣ ــ أما من آمن بالقانون السماوي فيسارع مَنْ خالفه لإقامة الحَدِّ عليه وتطهيرِه، مُعتَرِفاً من نفسِه بالمخالفة، ولو كان في ذلك فضيحتُه وتشهيرُه، بل قَتْلُه رَمْياً بالحجارة، على الرغم مِن أنَّ مَنْ بيده التنفيذُ يحـاول رَدَّه عن الاعتـرافِ للتثبّت من جِـدِّيَّتـه في طلبِ التـطهيـرِ «لَعلَّك. . . لَعلَّك. . .» فيأبى المخالِفُ إلا القَتْلَ بيد الحبيب، حتى يَطْهُرَ ويَطِيب، لأنَّ إيمانَه بهذا القانون نابعٌ من أعماق قلبه، ولأنَّ حُبَّه وهواه تابعٌ لما جاء به هذا الطبيبُ من عند الله:

وقَـدْ حَكَمَ الهـوى أنّي عليـلٌ وقَـدْ حَكَمَ الهـوى أنتَ الـطبيبُ

* * *

(١) «صحيح البخاري» مع «فتح الباري» ١٢ : ١٣٥.

الشعور بالخطيئة
«المرأة الغامدية»

١ ـ جاءت المرأة الغامدية إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله قد زنيت، فطهّرني، وأنه ردّها: فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله لِمَ تردُّني؟ لعلك أنْ تردني كما رَدَدْتَ ماعزاً!! فوالله إني لحبلى، قال: إمّا لا فاذهبي حتى تلِدي؛ فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدتُه!! قال: فاذهبي فأرضعيه حتى تَفْطِميه، فلما فطمتْه أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت يا نبيّ الله قد فطمتُه!! وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها، فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها.

فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضّح الدم على وجه خالد، فسبّها!! فسمع النبيّ ﷺ سبّه إياها، فقال: مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكس لغُفر له، ثم أمر بها فصُلِّي عليها ودفنت.

«جامع الأصول» ٣: ٥١٨.

٢ ـ من المعلوم أن المرأة ناقصة عقل ودين؛ ولكن المرأة الغامدية لما ملأ قلبَها وسلب لبَّها شعورُها بعظم الخطيئة التي وقعت فيها، أدركت أنه لا ينجيها من ورطتها، ويعيد إليها صحتَها، إلا أن تُسْلِم روحها إلى طبيب الأرواح ليعالج إيمانها، ويداوي وجدانها،

فينقذها من النار، ولو بإزهاق روحها ضرباً بالأحجار؛ وهكذا سلطان العقيدة والإيمان ووخز الضمير الإسلامي؛ وما مثال ذلك إلا كمن أصيب بعلةٍ قاتلة، فأسرع إلى الجرّاح، يرجوه في إلحاح، أن يعجل في إجراء عملية له، ولو كانت خطرة قد يكون فيها حتفه، ليتخلص من ألمه الذي لا يطاق.

* * *

محاسبة الضمير
«أبو لُبابة»[1]

لما اشتد الحصار على يهود بني قريظة، وأيقنوا بالهلاك أرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهَش إليه النساء والصبيان يبكون؛ فرَقَّ لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أتَرى أن ننزل على حكم محمد؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه: أنه الذَبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أني قد خُنت الله ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، فلم يأت رسولَ الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عَمَده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ــ وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً ــ ولا أُرى في بلدٍ خُنتُ الله ورسوله فيه أبداً.

---

(١) اسمه: رِفاعة بن عبد المنذر الأنصاري.

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُه، وكان قد استبطأه، قـال: أمَا لـو جاءني لاستغفرت له، وأمّا إذْ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقُه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

قال أبو لبابة: فكنتُ في أمر عظيم، في حر شديد عِدةَ ليال لا آكل فيهن شيئاً، ولا أشرب، وقلتُ: لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا، أو يتوبَ الله عليّ.

وأذكر رؤيا رأيتها في النوم ونحن محاصِرون بني قريظة كأني في حَمْأة آسِنة[1] ـ أي متغيرة ـ فلم أخرج منها حتى كدت أمـوت من ريحها، ثم رأيت نهراً جـارياً، فـأراني اغتسلت فيه حتى اسْتَنْقَيتُ، وأراني أجد ريحاً طيبة، فاستعبرتُها[2] أبا بكر.

فقال: لتدخُلَنّ في أمر تغتمُّ له ثم يفرَّج عنك، فكنت أذكر قوله وأنا مرتبط فأرجو أن ينزل الله توبتي، فلم أزل كذلك، حتى ما أسمعُ الصوت من الجُهد، ورسول الله ينظر إليّ.

قال ابن هشام: وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجِذع ست ليال، تأتيـه امرأته في وقت كل صلاة، فتَحُلُّه للصلاة، ثم يعودُ، فتربِطه بالجِذْع.

وروى ابن عبد البَرِّ بسنده: أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بِضْعَ عشْرة ليلة حتى ذهب سمعه، وكاد يذهب بصره، فكانت ابنته تَحُله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاجة، فإذا فرغ أعادته.

---

(١) أي: طين أسود منتن.
(٢) سألتُ عن تعبيرها.

وروى ابن إسحاق عن يزيدَ بنِ عبد الله بن قُسَيْط: أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة.

قالت أم سلمة: فسمعتُ رسول الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك فقالت: قلت: يا رسول الله مِمَّ تضحك؟ أضحك الله سِنّك.

قال: تِيب على أبي لبابة.

قالت: قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟

قال: بلى، إنْ شئتِ.

قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجاب، فقالت: فقلت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فثار الناس إليه ليطلقوه.

فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مَرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

«شرح المواهب اللدنية» ٢ : ١٣١.

* * *

صبر النبوة

سلسلة من الإيذاء، يبتلى بها سيد الأنبياء، لم تكن له راحة في حياته، حتى ولا بعد مماته.

١ ــ يؤذى في مكة من أعدائه الحاقدين، ومن بعض أقاربه الجاحدين، فيصبر ويصبر.

٢ ــ يؤذى في المدينة من اليهود والمحاربين، فيصبر ويصبر.

٣ ــ يؤذى في بيته وأهله، فينال المنافقون من عِرْضه، ويقذفون أحب زوجاته إلى قلبه، الطاهرة المصونة، بنتَ صدِّيقه وصديقه، وحبيبه ووزيره؛ وينساق للأسف بعض المؤمنين المحبين له، فيخوضون مع الخائضين، ويَرْمُون بسهام المنافقين، فلا يغضب لنفسه، ولا يثور لعِرْسه(١)، بل يصبر لأمر ربه، ينتظر الوحي ليقول كلمته الفاصلة، في هذه المشكلةِ النازلة؛ حتى إذا نزلت البراءة أقام الحدَّ على القاذفين، دون غضب ولا حقد، ولا طلب ثأر؛ ثم بعد هذا يجري كلُّ شيء في طريقه، ويبقى كل مؤمن في مكانه؛ فهذا حسان بن ثابت لم يُكْسَرْ مِنبره مع أنّه خاض في حديث الإفك لأنه

---

(١) العِرْس بالكسر: الزوجة.

الشاعر المدافع عن الإسلام، ولا يتخلى عنه روح القُدُس، ولا يواجَه بكلمة عتاب، بل يُهديه رسول الحلم والكرم «سِيرينَ» أخت مارية أم إبراهيم[1]؛ وتعاد النفقةُ إلى مِسطحٍ قريبِ أبي بكر، بل يعاتِب القرآنُ أبا بكر في حقّه لمّا حلف أن لا يساعده شيء بعدما قال في عائشة ما قال؛ فيعيد إليه النفقة أبو بكر، كأنه ما صنع شيئاً، ولا قال نُكراً.

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتَبُ ... ولا ينال العُلاَ مَن طبعُه الغضبُ

٤ ــ أرأيت الكَحّال الماهر، يداوي الصغار، ويَحُكُّ من جفونهم الحبوب «التراخوم» وهم يَسُبُّونه ويرفِسونه ويعضّونه، ويتألمون ويبكون، وهو صابر بسّام، بل يَعْذرهم لأنهم صغار لا يعلمون، هذا أبو القاسم ﷺ إمام الصابرين، وسيد الشاكرين، يُرمى بالأحجار، فلا يكون منه إلا الاستغفار والدعاء والاعتذار: «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

٥ ــ أرأيت الطبيب الجرّاح، يشُق ويَجْرح لا لانتقام من المريض وطلب ثأر، بل يقصد تخليص المريض من علته؛ فليس الجراح عدواً للعليل، بل محب وصديق وإن أوجع وآلم، إنه يداوي العليل ولا يُعَيِّرُه بعد.

بل إن أبا القاسم ﷺ لا يرضى أن يُسَبّ عدوه أبو جهل بعدما آمن ابنه عِكْرمة، إذ يقول: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات.

٦ ــ أرأيت البلبل، إنّه يغرد لأنّ من طبعه التغريد، لا يرتقب

---

(١) وحائط نخل.

شكراً، ولا يرجو من أحدٍ أجراً، ولا يَأْبَهُ بمن سبّ أو شكر، أو أحبّ أو احتقر.

إن الأمر أعظم من ذلك، إن هذا الرسولَ العظيم ﷺ الذي أمر الله المؤمنين أن يَوَدّوا ذوي قرباه، وجعل هذا الاعتبار والتكريم، كأجر على التبليغ والتعليم قد أساء إليه وإلى أولاده بعض المؤمنين، بعد نُقلته ووفاته، فقتلوا صهره ابنَ عمه علياً وابنه الحسين، وحاربوْا آل بيته الكرام، وذهب أكثرهم ضحايا الملوك: الملوك الذين لولا جهاد المصطفى ﷺ ما ملكوا ولا سادوا؛ لقد ذهب رسول الرحمة ﷺ إلى ربه، عظيمَ الصبر، موفورَ الأجر.

* * *

حديث الإفك

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيَّتهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجتُ مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب، فكنت أُحْمَلُ في هَوْدجي، وأُنْزَل فيه؛ فسِرْنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذَنوا بالرحيل، فَمَشيْتُ حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيتُ شأني، أقبلتُ إلى رَحْلِي، فلمَسْت صدري، فإذا عِقْدٌ من جَزْع[١] ظَفارِ قد انقطع، فرجعت فالتمستُ عِقدي، فحبسني ابتغاؤه.

قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلُوني، فاحتملوا هودجي

---

(١) الجَزْع: الخرز الذي فيه بياض وسواد، وظَفارِ: بلد في اليمن؛ يا له من جَزْع جر البلاء، وأثار الجَزَع؛ فهل عتب عليها الحبيب: لمَ حملتيه وهلاّ تركته لمّا ضاع؟! وانتبهتِ للوقت؟ لا لا! لأنها حديثة السن بنت أربعة عشر، ولأنها حبيبةٌ بنت حبيب:

وإذا الحبيب أتى بذَنْبٍ واحدٍ جاءتْ محاسنُهُ بألفِ شفيعِ

ولأنه سيد المؤمنين بالقدر: خيره وشره، حلوه ومُرّه.

فرحَّلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسِبون أني فيه، وكان النساء إذْ ذاك خِفافاً لم يُهَبِّلْهُنّ[1] ولم يَغْشَهُنّ اللحم، وإنما يأكلْن العُلْقَة[2] من الطعام فلم يستنكر القومُ خِفَّة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السنّ، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عِقْدي بعدما استمر الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فَيَمَّمْتُ[3] منزلي الذي كنت بـه، وظننت أنهم سيفقِدوني، فيرجعون إليَّ.

فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتْني عيني، فنمت، وكان صفوان بن المعطَّلِ السُّلَمي ثم الذكوانيُّ من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرْت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه، وهَوى حتى أناخ راحلته، فوطيء على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش مُوغِرِينَ[4] في نحر الظهيرة وهم نُزول، قالت: فهلك من هلك.

وكان الذي تولى كِبْرَ الإفك عبدَ الله بنَ أبيّ ابن سلول، قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدِمْتُ شهراً، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَرِيبُني[5] في

---

(١) لم يكثر لحمهن.
(٢) القليل.
(٣) قصدت.
(٤) نازلين في وقت الظهر في الحر.
(٥) يوقعني في الحيرة والشك.

وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فيسلم، ثم يقول كيف تِيْكم[١]؟ ثم ينصرف، فذلك يَرِيبني، ولا أشعر بالشرِّ.

حتى خرجت حين نَقَهْتُ[٢]، فخرجتُ مع أم مِسْطَحٍ قِبَل المناصع[٣]، وكان مُتَبَرَّزنا[٤]، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف[٥] قريباً من بيوتنا، قالت: وأمْرُنا أَمْرُ العربِ الأُوَلِ في البريّة قِبَل الغائط، وكنا نتأذّى أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت: فانطلقتُ أنا وأُمُّ مِسْطَح، وهي ابنة أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالةُ أبي بكر الصديق، وابنها مِسْطح بن أُثاثة بنِ عبّاد بن المطلب، فأقبلتُ أنا وأم مِسْطح قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرتْ أم مِسْطَح في مِرْطها[٦]، فقالت: تَعِسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قُلْتِ، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أي هَنْتاه[٧] ولم تسمعي ما قال؟

قالت: وقلت: ما قال؟

فأخبرتْني بقول أهل الإفك، قالتْ: فازدَدْتُ مرضاً على مرضي،

---

(١) كيف هذه.
(٢) قاربت الشفاء.
(٣) جهة البرية.
(٤) أي موضع قضاء الحاجة.
(٥) المراحيض.
(٦) كسائها.
(٧) يا مُغَفَّلة.

فلما رجعتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلّم، ثم قال: كيف تيكم؟! فقلت له: أتأذن لي أن آتِيَ أبويَّ؟

قـالت: وأُريد أن أستيقن الخبـر من قِبَلِهما، قـالت: فـأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أُمّتاه ماذا يتحدث الناس؟

قالت: يا بنية هَوِّني عليك، فوالله لقلَّما كانت امرأة قط وضيئةٌ[1] عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت سبحان الله! أوَ لقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبَكيْت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقأُ[2] لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بنَ زيد، حين استلْبَثَ[3] الوحي يسألهما، ويستشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهْلُكَ، ولا نعلم إلا خيراً.

وأما عليٌّ فقال: يا رسول الله لم يضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسلِ الجارية تَصدُقْك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرة.

فقال: أيْ بريرةُ، هل رأيتِ من شيء يرَيبُكِ؟

---

(١) جميلة.

(٢) ينقطع.

(٣) تأخر.

قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قطُّ أغمِصهُ[1] غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[2] فتأكُلُه.

قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر[3] من عبد الله بن أُبيٍ وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين مَنْ يَعذِرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلاّ معي.

قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أَعْذِرك، فإنْ كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسانَ بنتَ عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج.

قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملتْه الحميّة، فقال لسعد: كذبت، لعَمْرُ الله لا تقتلُه، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهْطك ما أحببت أن يُقْتَل.

فقام أسَيد بن حُضَيْر وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة:

---

(١) أعيبه.

(٢) الشاة المعلوفة في البيت، وكان هذا واقعاً حقيقة، وفيه بيان لغفلتها بسبب حداثة سنها.

(٣) طلب من ينصفه وينتقم له.

كذبت لعَمْرُ الله لنقتلنّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت: فثار الحَيَّـانِ: الأوس والخزرج، حتى هَمُّـوا أن يقتتلوا، ورسـولُ الله ﷺ قائم على المنبـر، قـالت: فلم يـزل رسـول الله ﷺ يُخَفِّضُهم، حتى سكتوا، وسكتَ، قالت: فبكَيْتُ يومي ذلك كُلَّه لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم.

قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بَكَيْتُ ليلتين ويوماً، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى إني لَأظنُّ أن البكاء فالقٌ كبدي، فبينـا أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي، فاستأذنَتْ عليّ امرأةٌ من الأنصار، فأذنتُ لها، فجلستْ تبكي معي[1].

قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا، فسلّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قَبْلهـا، وقد لبِث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهّد رسولُ الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أمّـا بعد يـا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئة، فسيبرئكِ اللَّهُ، وإنْ كنتِ أَلْمَمْتِ[2] بـذَنْب، فاستغفـري الله وتُوبي إليـه، فـإن العبـد إذا اعترف، ثم تاب تاب الله عليه.

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ[3] دمعي، حتى ما

---

(١) قالت الخنساء:

ولـولا كثـرة البـاكين حـولي على إخـوانهم لقتلت نفسي.

(٢) ألمَّ بالشيء: قاربه ولم يفعل.

(٣) جَفَّ.

أُحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أَجِبْ رسول الله ﷺ عني فيما قال.

فقال: أبي: و الله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت: لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال.

قالت أمي: و الله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلتُ ـ وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ من القرآن كثيراً ـ: إني والله لقد علمتُ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقـرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلتُ لكم: إني بريئة لا تصدقونني، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ـ و الله يعلم أني منه بريئةٌ ـ لَتُصَدِّقُنّي، فـو الله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: فصَبْرٌ جميلٌ، والله المستعان على ما تصفون.

ثم تحولتُ واضطجعتُ على فراشي، و الله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظنّ أن الله منزلٌ في شأني وَحْياً يُتلى، لَشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني اللَّهُ بها، فوالله ما رام[1] رسول الله ﷺ مجلسَه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء[2]، حتى إنه ليتحدّر منه العَرَقُ مثل الجُمَان[3] وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه.

---

(١) فارق. ومضارعه يَريم.

(٢) ثقل الوحي.

(٣) حبات الفضة.

قالت: فسُرِّي[1] عن رسـول الله ﷺ وهو يضحـك، فكانت أولَ كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أمّا الله فقد برَّأَك.

قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عَزَّ وجلَّ.

قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ... ﴾ العشرَ الآيات، ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي، قال أبو بكر الصـدّيق ـ وكان يُنفق على مِسْطَح بن أُثاثة لقرابتِه منه وفقرِه ـ: والله لا أنفق على مِسْطَح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ[2] أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ... ﴾ إلى قوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأُحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مِسْطَح النفقةَ التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزِعها منه أبداً.

قالت عائشـة: وكان رسـول الله ﷺ سأل زينبَ بنتَ جحش عن أمري، فقال لزينب: ماذا علمتِ أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت تُساميني[3] من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالـورع، قالت: وطَفِقَتْ أختُها حَمْنَةُ تُحارب لها، فهلكتْ فيمن هلك.

قالت عائشة: والله إنَّ الرجل[4] الذي قيـل له مـا قيل ليقـول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفتُ عن كَنف أنثى قطُّ، قالت: ثم قُتل بعد ذلك في سبيل الله.

«فتح الباري» ٧: ٤٣١.

---

(١) انكشف الوحي.
(٢) يحلف أن لا يعطي.
(٣) تفاخرني.
(٤) أي: صفوان.

عائشة ومريم

حُكي أن القاضي أبا بكر الباقلاني توجّه رسولاً إلى بعض ملوك النصارى، فسأله بعض الأقِسَّاء بحضرة المَلِك: ما قيل في امرأة نبيكم؟ فقال بديهة: هما امرأتان، قيل فيهما ما قيل، أَتَتْ إحداهما بولد، ولم تأت الأخرى بولد.

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: أراد القاضي أبو بكر بهذا أن ظهور براءة عائشة أقوى من براءة مريم، وكلاهما بريئتان.

وحُكي أن مسلماً ناظر نصرانياً، فقال له النصراني: يا مسلم، كيف كان وَجْهُ زوجة نبيّكم عائشة في تخلُّفها عن الركب عند نبيكم مُعتْذِرةً بضياع عِقْدها؟

فقال المسلم: يا نصراني، كان وَجْهُها كوَجْهِ بنت عِمْران لما أَتَتْ بعيسى تحمله من غير زوج.

«تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون» للصَّفَدِيّ.

* * *

عمر يعظ حفصة

روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ(١) قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حجَّ وحججتُ معه، وعَدَل وعَدَلتُ معه بإداوة(٢)، فتبرَّز(٣)، ثم جاء فسكبتُ على يديه منها، فتوضأ.

فقلت له: يا أمير المؤمنين مَنْ المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟

قال: واعجباً لك يا ابن عباس!!! هما: عائشة، وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه.

قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ: فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

---

(١) زاغت ومالت عن الحق.
(٢) مِطْهرة.
(٣) قضى حاجته.

وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطَفِق نساؤنا يأخُذْنَ من أدب نساء الأنصار، فصخِبْتُ على امرأتي، فراجعتني، فأنكرْتُ أن تراجعني.

قـالت: ولِمَ تُنكـرُ أن أراجعـك؟ فـوالله إن أزواج النبي ﷺ ليُراجعْنه!! وإن إحداهن لتهجُرُه اليومَ حتى الليل!!.

فأفزعني ذلك، فقلتُ لها: قـد خاب من فعـل ذلك منهنّ، ثم جمعتُ عليّ ثيابي، فنزلتُ، فدخلت على حفصة.

فقلت لهـا: أيْ حفصةُ أتغـاضب إحداكنّ النبي ﷺ اليـومَ حتى الليل؟

قالت: نعم.

فقلت: قـد خِبْتِ وخَسِـرْتِ، أفتـأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلِكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، وسليني ما بدا لكِ؛ ولا يَغُرّنّكِ أن كانت جارتكِ[1] أوضأ منك، وأحبَّ إلى النبي ﷺ، يريد عائشة.

قال عمر: وكنا قد تحدثنا أنَّ غسانَ تُنْعِل الخيل لتغزوَنا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عِشاء، فضرب بابي ضَرْبـاً شديداً.

وقال: أثَمَّ هو؟ ففزِعتُ، فخرجتُ إليه.

فقال: قد حدث اليومَ أمرٌ عظيمٌ!!

(١) ضَرَّتُكِ.

قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟

قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول!!! طلَّق النبيُّ ﷺ نساءَه.

فقلت: خابتْ حفصةُ وخَسِرَتْ، وقد كنت أظن هذا يوشِك أن يكون، فجمعت عليّ ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل النبي ﷺ مَشْرُبة[1] له، فاعتزل فيها، ودخلتُ على حفصة فإذا هي تبكي.

فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذّرتكِ هذا؟ أطلقكنّ النبي ﷺ؟

قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المَشْرُبَة.

فخرجت فجئتُ إلى المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهُم، فجلستُ معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد، فجئت المَشْرُبة التي فيها النبيُّ ﷺ.

فقلت لغلام له أسود: استأذنْ لعمر.

فدخل الغلام فكلَّم النبي ﷺ، ثم رجع فقال: كلّمت النبي ﷺ وذكرتك له فصَمَتَ، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت، فقلت للغلام: استأذنْ لعمر.

فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت.

فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئتُ الغلام، فقلت: استأذن لعمر، فدخل، ثم رجع إليَّ فقال: قد ذكرتك له فصمت.

---

(١) عِلّيَة.

فلما وليت منصرفاً، قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ.

فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رُمَالِ[1] حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثّر الرُمال بجبنه، متكئاً على وسادة من أَدَمٍ[2] حشوها ليف، فسَلَّمْتُ عليه.

ثم قلتُ ـ وأنا قائم ـ: يا رسول الله أطلّقتَ نساءَك؟ فرفع إليّ بصرهَ، فقال: لا، فقلت: الله أكبر.

ثم قلت ـ وأنا قائم ـ: أستأنسُ يا رسول الله؟ لو رأيتَني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم!! فتبسَّم النبيُّ ﷺ.

ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتَني ودخلت على حفصة، فقلت لها: لا يغرنّكِ أنْ كانت جارتُكِ[3] أوضأ منك وأحبَّ إلى النبي ﷺ، يريد عائشة.

فتبسَّم النبيُّ ﷺ تبسُّمة أخرى، فجلستُ حين رأيته تبسَّم، فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يَرُدُّ البصر غير أَهَبَة[4] ثلاثة.

فقلت: يا رسول الله ادْعُ الله فليوسع على أمتك، فإنَّ فارس

---

(١) بضم الراء: حصير مضفور.

(٢) جلد.

(٣) ضَرَّتُكِ عائشة.

(٤) جمع إهابٍ: الجلد.

والروُّم قد وُسِّع عليهم، وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله!

فجلس النبيُّ ﷺ وكان متكئاً، فقال: أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إنَّ أولئك قومٌ قد عُجِّلوا طيباتِهم في الحياة الدنيا.

فقلت: يا رسول الله، استغفر لي.

فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أَفْشَتْه حفصةُ إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة.

وكان قال: ما أنا بداخل عليهنّ شهراً من شدة مَوْجِدته[1] عليهنَّ حين عاتبه الله عزّ وجلّ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة، فبدأ بها.

فقالت له عائشة: يا رسول الله، إنك كنت قد أقسمتَ أنْ لا تدخل علينا شهراً، وإنما أصبحتَ من تسع وعشرين ليلة أعُدُّها عدّاً.

فقال: الشهر تسع وعشرون، فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة.

قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير، فبدأ بي أولَ امرأةٍ من نسائه، فاخترتُه، ثم خَيَّر نساءَه كلّهن، فقلن مثل ما قالت عائشة.

«فتح الباري» ٩: ٢٧٨.

* * *

(١) غضبه.

رحمة عمر

بينا عمر نصف النهار قائل[1] في ظل شجرة إذا أعرابية، فتَوَسَّمتِ النّاسَ[2]، فجاءته فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً - جابياً وموزعاً - فلم يعطنا، فلعلك يرحمك الله أن تشفع لنا إليه.

قال: فصاح بيرفأ - خادمه - أن ادع لي محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه[3]!!

فقال: إنه سيفعل إن شاء الله.

فجاءه يرفأ، فقال: أجب، فجاء، فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين!!

فاستحيت المرأة، فقال عمر: والله ما آلو أن أختار خياركم - أي: ما أُقَصِّر - كيف أنت قائل إذا سألك الله عزّ وجلّ عن هذه؟ فدمعت عينا محمد.

---

(١) نائم ظهراً.
(٢) تفرست في وجوه الناس وهي لا تعرف عمر، علّها تظفر بشفيع لها.
(٣) كأنها خافت أن لا يأتي الموظف الكبير: ابن مسلمة بطلب هذا الشخص الذي ظنّته رجلاً عادياً من الشعب.

ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فصدقناه واتبعناه، فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين، حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر، فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني، فلم آلُ أن أختار خياركم: أنْ بعثتُك فأَدِّ إليها صدقة العام وعام أولَ، وما أدري لعلّي لا أبعثك.

ثم دعا لها بجمل، فأعطاها دقيقاً وزيتاً، وقال: خذي هذا حتى تَلْحقينا بخيبر، فإنا نريدها، فأتته بخيبر، فدعا لها بجملين آخرين، وقال: خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيَك حقَّك للعام وعامَ أولَ.

من كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٧١٢.

* * *

ميزاب العباس

خرج عمر في يوم جمعة، فقطر عليه ميزابُ العباسِ، فأمر به فقُلع، فقال العباس: قلعتَ ميزابي!! ما وضعه حيث كان إلا رسولُ الله ﷺ بيده، فقال عمر: والله لا يضعه إلا أنتَ بيدك، ثم لا يكون لك سُلَّمٌ إلا عمر، قال: فوضع العباس رجليه على عاتقي عمر، ثم أعاده حيث كان.

«المعرفة والتاريخ» ١: ٥١١.

* * *

ارفع إزارك...

أقبل رجلٌ شابٌ يُثني على عمر رضي الله عنه، وقد طُعن والناس يُثنون عليه، فلما أدبر إذا إزارُه يَمَسُّ الأرض، فقال يا ابن أخي ارفع إزارك، فإنه أتقى لربّك، وأنقى لثوبك.

قال عبد الله: يرحم اللَّهُ عمر لم يمنعه ما كان فيه أنه رأى حقّاً لله يتكلم فيه.

«تاريخ المدينة المنورة» لابن شبَّة ٣: ٩٣٥.

* * *

ليس من كَدِّك ولا كَدِّ أمك

قال أبو عثمان النَّهْدِيّ: كنتُ مع عُتْبة بن فَرْقَد حين افتتح أذْرَبِيجان، فصنع سَفَطيْنِ من خَبيص(١)، وألبسهما الجلود واللُّبود، ثم بعث بهما إلى عمر مع سُحَيْم مولى عتبة.

فلما قدم عليه، قال: ما الذي جئتَ به؟ أذَهَبٌ أم وَرِقٌ؟ وأمر به فكشف عنه، فذاق الخبيص، فقال: إنَّ هذا لَطَيِّبٌ أثِر(٢)! أكُلُّ المهاجرين أكَلَ منه شَبَعَه؟ قال: لا، إنما هو شيء خَصَّك به، فكتب

(١) حلواء من تمر وسمن.
(٢) لعله أثير، أي: مُفَضَّل.

إليه: من عبد الله عُمرَ أميرِ المؤمنين إلى عُتْبة بن فَرْقَد، أمّا بعد فليس من كدِّك، ولا كدّ أمك، ولا كدّ أبيك، لا نأكـل إلا ما يَشبـع منه المسلمون في رحالهم.

«فتوح البلدان» ص ٤٠٢.

* * *

قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر

ذكر رجاءُ بنُ حَيْوَة أنه بات ليلةً عند عمـر بن عبد العـزيز، فهمَّ السراجُ أنْ يَخْمُد، فقام إليه ليُصلحه، فأقسم عليه عمر ليقعدنَّ، وقام هو إليه فأصلحه، قال: فقلتُ له: تقوم أنت يا أمير المؤمنين؟! فقال: قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز.

«وفيات الأعيان» ٢ : ٣٠١.

* * *

وفــاء

«حديث المَزَادَتِين»

في «صحيح البخاري» عن عمران بن حصين قال:

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل عليه السلام، فدعا فلاناً[١] ـ كان يُسَمِّيه أبو رجاء، ونسميه عوف ـ ودعا علياً، فقال: اذهبا فابتغِيا الماء، فانطلَقا، فَتَلَقَّيَا امرأة بين مَزادتين[٢]، أو سطيحتين[٣]، من ماء على بعير لها.

فقالا لها: أين الماء؟

قالت: عهدي بالماء أمسِ هذه الساعَةَ، ونفرُنا خُلوف[٤].

قالا لها: انطلقي إذاً.

قالت: إلى أين؟

قالا: إلى رسول الله ﷺ.

قالت: الذي يقال له الصابىء!

---

(١) عمران بن حصين.
(٢) المَزَادة: قِربة كبيرة.
(٣) بمعنى المزادتين.
(٤) رجالنا غُيّب.

قالا: هو الذي تعنين، فانطلقي.

فجاءَا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه الحديث، قال: فاستنزلوها عن بعيرها[1]، ودعا النبي ﷺ بإناء، ففرّغ فيه من أفواه المزادتين، أو السطيحتين، وأوكأ[2] أفواههما، وأطلق العَزالِي[3]، ونودي في الناس، اسقُوا واستَقُوا، فسَقَى من شاء، واستقى من شاء، وهي قائمة تنظر إلى ما يُفعل بمائها، وأيم الله لقد أُقلِع[4] عنها وإنه ليُخَيَّل إلينا أنها أشد مِلأة منها حين ابتدأ فيها.

فقال النبي ﷺ: أجمعوا لها، فجمعوا لها من بين عجوة، ودقيقة، وسوَيقة، حتى جمعوا لها طعاماً، فجعلوها في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها.

قال لها: تَعْلَمين ما رَزِئنا[5] من مائكِ شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا.

فأتت أهلها وقد احتبست عنهم.

قالوا: ما حبسكِ يا فلانة؟

قالت: العجبُ، لقيني رجلان، فذهبا بي إلى هذا الرجل الذي يقال له الصابىء، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس مِنْ بين

---

(١) أي: طلبوا منها النزول عنه.
(٢) أي: ربط.
(٣) قال الخليل: فَتَح مصب الماء.
(٤) أي: كُفّ عن المزادة لاكتفائهم.
(٥) نقصنا.

هذه وهذه، وقالت بأصبعيها: الوسطى والسبَّابة، فرفعَتْهما إلى السماء، تعني السماء والأرض، أو إنّه لرسول الله حقاً.

فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون على مَنْ حولها من المشركين، ولا يصيبون الصِّرْم[1] الذي هي منه.

فقالت يوماً لقومها: ما أُرى[2]: أن هؤلاء القومَ يَدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام.

«فتح الباري» ١ : ٤٤٧.

* * *

(١) المكان.

(٢) الذي أظنه.

إياك والحَلوب

«أبو الهيثم»

خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها، ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟

قال: خرجت ألقى رسولَ الله ﷺ، وأنظرُ في وجهه، والتسليمَ[1] عليه.

فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول الله، قال ﷺ: وأنا قد وجدت بعض ذلك، فانطَلقُوا إلى منزل أبي الهيثم بن التَّيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النخيل والشاء[2]، ولم يكن له خَدَمٌ، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبكِ؟ فقال: انطلق يستعذب لنا الماء.

فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقِربة يَزْعَبها[3]، فوضعها، ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويُفَدِّيه بأبيه وأُمّه.

وفي روايـة مسلم يقول: (الحمـد لله ما أحـدٌ اليومَ أكـرمَ ضيفاً مني).

---

(١) أي: وأريد التسليم عليه.

(٢) جمع شاة.

(٣) يحملها ممتلئة.

ثم انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقِنْوٍ[1] فوضعه، فقال النبي ﷺ: أفلا تَنَقَّيْتَ لنا من رُطَبه؟ فقال: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا من رُطَبه وبُسْره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال ﷺ: هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة: ظل بارد، ورُطَب طيب، وماء بارد.

فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً، فقال النبي ﷺ: لا تذبحن لنا ذات دَرّ[2]، فذبح لهم عَناقاً[3] أو جَدْياً، فأتاهم بها فأكلوا فقال ﷺ: هل لك خادم؟ قال: لا، قال: فإذا أتانا سَبْيٌ فائتنا، فأُتيَ ﷺ برأسين[4] ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم[5]، فقال النبي ﷺ: اختر منهما، قال: يا رسول الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: إن المستشار مؤتمن، خُذْ هذا، فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفاً.

فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغٍ حقَّ ما قال فيه النبي ﷺ إلا بأن تُعتِقه، قال: فهو عتيق.

فقال ﷺ: إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانةٌ

(١) غصن فيه بُسْر ورُطْب وتمر.
(٢) الدَّرُّ: اللبن، وقد رأى السكين في يده.
(٣) سخلة معز لها أربعة أشهرِ.
(٤) أسِيرَيْنِ.
(٥) وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم.

تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألوه خبالاً[1] ومَن يُوقَ بطانةَ السوء فقد وُقي.

«شمائل الترمذي» باب ما جاء في
عيش رسول الله ﷺ ص ٦٩

* * *

الموصول والصلة!

كان ابن عُنَيْنٍ قد مرض فكتب إلى الملك المُعظَّم عيسى بن العادل:

أُنْظُرْ إليَّ بعَيْن مَولًى لَم يَزَلْ   يُولي النَّدَى وتلَافَ قبلَ تَلافي
أنا كـ«الذي» أحتاجُ ما تحتاجُهُ   فاغْنَمْ ثوابي والثَّنَاءَ الوافي

فجاء بنفسه إليه يعوده ومعه صُرَّةٌ فيها ثلاثُ مئة دينار، فقال: هذه الصلةُ، وأنا العائدُ، وأنت الموصول.

«وفيات الأعيان» ٣: ٤٩٦.

* * *

(١) لا تقصّر في غشه.

أبو ذر الغفاري

روى مسلم عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر:

خرجنا من قومنا غِفار، وكانوا يُحِلُّون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أُنَيسْ وأُمّنا، فنزلنا على خال لنا، فأكرمَنا خالُنا، وأحسن إلينا، فحسدَنا قومُه.

فقالوا: إنك إذا خرجتَ عن أهلك خالَفَ إليهم أُنَيْس!!

فجاء خالنا فنثا[1] علينا الذي قيل له.

فقلت: أمّا ما مضى من معروفك فقد كَدَّرْتَه، ولا جِماع[2] لك فيما بعد.

فقَرَّبْنا صِرْمتنا[3] فاحتملْنا عليها، وتغطى خالنا ثوبَه فجعل يبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فنافر[4] أُنيس عن صِرْمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن، فخَيَّر[5] أُنيساً، فأتانا أُنيس بصرمتنا ومثلها معها.

---

(١) نثا: أشاع وأفشى.
(٢) لا نجتمع معك، ولا نبقى عندك.
(٣) الصِّرْمة: القطعة من الإبل.
(٤) نافر: راهن.
(٥) فضّل.

قال: وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقى رسولَ الله ﷺ بثلاث سنين.

قلت: لِمَنْ؟

قال: للَّه.

قلت: فأين تَوجَّهُ؟

قال: أتوجّه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل أُلقيتُ كأني خِفاء[1] حتى تعلوَني الشمس.

فقال أنيس: إنّ لي حاجة بمكة فأكفِني.

فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث[2] عليَّ، ثم جاء.

فقلت: ما صنعت؟

قال: لقيتُ رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله.

قلت: فما يقول الناس؟

قال: يقولون، شاعر، كاهن، ساحر.

وكان أُنيس أحدَ الشعراء.

قال أُنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقْراء الشعر[3]، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه

---

(١) خِفاء: كساء لم يبق فيّ قوة.

(٢) راث: أبطأ، ومضارعه يريث، ومنه التريّث.

(٣) أوزانه.

شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون.

قال: قلت: فأكفني حتى أذهب فأنظُرَ.

قال: فأتيت مكة، فتضعّفتُ رجلاً منهم، فقلت: أين هذا الذي تدْعونه الصابىء؟ فأشار إليّ، فقال: الصابىء!! فمال عليّ أهلُ الوادي بكل مدَرَة وعَظْم، حتى خررت مغشيّاً عليّ.

قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نُصُبٌ أحمر[١]، قال: فأتيت زمزم، فغسلتُ عني الدماء، وشربتُ من مائها، ولقد لبثتُ يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم، ما كان لي طعام إلا ماءُ زمزم، فسمنت حتى تكسَّرَتْ عُكَنُ بطني[٢]، وما وجدت على بطني سَخْفة جوع[٣].

قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيانَ إذْ ضُرب على أسْمِخَتهم[٤]، فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان إسافاً ونائلة[٥]، قال: فأتتا عليّ في طوافهما.

فقلت: أنكحا أحدهما الأخرى، قال: فما تناهتا عن قولهما.

قال: فأتتا عليّ، فقلت: هنَّ مثل الخشبة، غير أني لا أكني!! فانطلقتا تولولان، وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا.

---

(١) النُّصُب: حجر يذبح عليه في الجاهلية.
(٢) انثنت لكثرة السِّمن وانطوت.
(٣) رقة الجوع وضعفه وهُزاله.
(٤) على آذانهم.
(٥) صنمان كانا رجلاً وامرأة، ففجرا في الكعبة فمُسخا، فنَصَبتْ قريشُ إسافاً على الصفا، ونائلة على المروة للاعتبار، ثم تمسحوا بهما بعد حين تبركاً وجهلاً.

قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان.

قال: ما لكما؟

قالتا: الصابىء بين الكعبة وأستارها.

قال: ما قال لكما؟

قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم.

وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحَجَر، وطاف بالبيت هو وصاحبُه، ثم صلّى، فلما قضى صلاته.

قال أبو ذر: فكنتُ أنا أولَ من حيّاه بتحية الإسلام، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله.

فقال: وعليك ورحمة الله.

ثم قال: مَن أنت؟

قال: قلت: من غِفار.

قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته، فقلت في نفسي: كره أن انتميتُ إلى غفار[١]، فذهبت آخُذُ بيده، فقدعني[٢] صاحبُه، وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه.

ثم قال: متى كنتَ ههنا؟

قال: قلتُ: قد كنتُ ههنا منذ ثلاثين، بين ليلة ويوم.

---

(١) لأنهم كانوا لصوصاً.

(٢) كفّني.

قال: فمن كان يُطعمك؟

قال: قلتُ: ما كان لي طعام إلا ماءُ زمزم، فسمنتُ حتى تكسَّرَتْ عُكَنُ بطني، وما أجد على كبدي سَخْفَة جوع.

قال: إنها مباركة، إنها طعامُ طُعْم.

فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة.

فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر باباً، فجعل يقبِض لنا من زبيب الطائف، وكان ذلك أولَ طعام أكلتُه بها.

ثم غَبَرْتُ[١] ما غبرت، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ، فقال: إنه قد وُجِّهَتْ لي أرض ذات نخل، لا أُراها إلا يثرب، فهل أنت مُبَلِّغ عني قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم.

فأتيت أُنيساً.

فقال: ما صنعتَ؟

قلت: صنعتُ أني قد أسلمتُ وصدّقتُ.

قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمتُ وصدّقتُ.

فأتينا أمَّنا.

فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدّقتُ.

فاحتملنا حتى أتينا قومَنا غِفاراً، فأسلم نصفهم، وكان يؤمّهم

---

(١) بقيت في أهلي مدة.

إيماء بن رَحَضَة الغِفاري، وكان سيِّدهم.

وقال نصفهم: إذا قدم رسولُ الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم نصفهم الباقي.

وجاءتْ أَسْلَمُ فقالوا: يا رسول الله إخوتُنا نُسْلِمُ على الذي أسلموا عليه، فأسلموا.

فقال رسول الله ﷺ: «غِفارُ غَفَرَ اللَّهُ لها، وأَسْلَمُ سالَمها اللَّهُ».

«صحيح مسلم» بشرح النووي ١٦: ٢٧

* * *

إصرار أبي ذر
«غزوة الغابة»

سببها:

كان لرسول الله ﷺ عشرون لِقْحة[1] تَرعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها وابنه وامرأته؛ فأغار عليهم عيينةُ بن حِصْن الفَزَارِيُّ ليلةَ الأربعاء في أربعين فارساً، فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر، وأسَروا المرأة.

وعند الواقدي: أن أبا ذر استأذنه عليه الصلاة والسلام إلى لِقاحه.

فقال: إني أخاف عليك، ونحن لا نأمن عيينة، فألحّ عليه!!!

فقال ﷺ: لكأني بك قد قُتل ابنُك، وأُخِذَت امرأتُك، وجئتَ تَوَكَّأُ على عصاك.

قال أبو ذر: عجباً لي! يقول لي ذلك وأنا ألحّ عليه!!!

فكان والله ما قال، فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابنا، فأشرف لهم ابني فقتلوه، وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فَنَجَوْا، وتَنَحَّيْتُ عنهم، فنجت امرأة ابنه الذي قُتل، وأُسرت امرأته هو[2].

فـركبت امـرأة أبي ذر نـاقـة للنبي ﷺ ليـلاً على حين غفلتهم، ونَذَرَتْ لئن نجت لتنحرنّها، فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرتْه بذلك.

---

(١) ناقة ذات لبن.

(٢) أي: امرأة أبي ذر، ففيه التفات.

فتبسم النبي ﷺ، وقال: بئسما جزيتِها أن حملك الله عليها ونجاكِ: أن تنحريها!!!

إنه لا نذر في معصية، ولا لأحد فيما لا يملك.

«شرح المواهب اللدنية» ٢ : ١٤٩.

* * *

إكرام الجار

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة دارَه التي في السوق بتسعين ألفَ درهم، فلما كان الليل، سمع بكاء أهل خالد. فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون على دراهم، قال: يا غلام، ائتهم، فأعْلِمْهم أنَّ الدار والمال لهم جميعاً.

«مختصر منهاج القاصدين» ٢٠٣.

* * *

تكريم الرقيق والخَدَم

عن المعرور بن سُويد، عن أبي ذر، قال ـ أي المعرور ـ:

رأيت عليه بُرْداً، وعلى غلامه بُرْداً، فقلت: لو أخذتَ هذا، فلبسته، كانت حُلة[1]... وأعطيتَه ثوباً آخر.

فقال: كان بيني وبين رجل[2] كلام، وكانت أمّه أعجمية، فنِلْتُ منها[3]، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي:

أساببتَ فلاناً.

قلت: نعم.

قال: أفنِلْتَ من أمه؟

قلت: نعم.

قال: إنك امرؤ فيك جاهلية!!

قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟!

قال: نعم! هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن

---

(١) إزاراً ورداء من لون واحد.

(٢) هو بلال.

(٣) ذكرتُها بسوء، فقلتُ: يا ابن السوداء.

جعل الله أخاه تحت يده، فليُطعمه مما يأكل، وليُلْبِسْه مما يلبَس، ولا يكلفْه من العمل ما يغلبه، فإنْ كلّفه ما يغلبه فلْيُعِنْه عليه.

«فتح الباري» ١٠: ٤٦٥.

* * *

صُولح بالرمـاد

قيل إنّ الربيع بن سليمان الجِيْزِيّ اجتاز يوماً بمصر، فطُرِحَت عليه إجّانةُ رماد، فنزل عن دابّته، وجعل ينفُضُه عن ثيابه، ولم يقل شيئاً، فقيل له: ألا تزجرهم؟ فقال: مَنْ استحقَّ النّارَ وصُولح بالرمـاد فقد رَبحَ.

«وفيات الأعيان» ٢: ٢٩٢.

* * *

مذهب أبي ذر

ليس في مذهب أبي ذر متمسَّك لـلاشتراكيين، لأنـه ــ كما في «فتح الباري»[1] من طريق يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه ــ كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله ﷺ فيه الشدة، ثم يخرج إلىٰ قومه، ثم يرخصُ فيه النبيُّ ﷺ، فلا يسمع الرخصة، ويتعلق بالأمر الأول!!

ويدل لهذا ما في «صحيح البخاري»[2] بسنده عن خالد بن أسلم قال: «خَرَجْنا مع عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما، فقال أعـرابي: أخبِرْني عن قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عُمر رضي الله عنهما: مَنْ كَنَزَها فلم يُؤَدِّ زكاتَها فويلٌ له، إنما كان هذا قبل أن تُنْزل الزكـاةُ، فلمّا أُنـزِلتْ جعلها اللَّهُ طُهـراً، للأموال» اهـ.

ومعلوم أن المهاجرين في بدء الهجرة كـانوا في حـاجة شـديدة للمواساة، مما أوجب الإخاءَ، والمقاسمة، والتوارث، والإيثار، فلما وسّع اللَّهُ عليهم تُرِكَ ما هنالك، واكتفى بالزكاة.

---

(١) ٣: ٢٧٣.
(٢) «فتح الباري» ٣: ٢٧١.

ولو كان الادّخار مع التقوى حراماً لتعطل ركن الزكاة في الإسلام، وكان الإسلام يُبْنَى على أربع، بل وثلاث[1].

فهل نوجب الزكاة والحج على المفاليس والذين لا يجدون غير قوت يومهم؟!!

ولو كان الادّخار مع التقوى وكرم النفس حراماً لما قَبِل رسولُ الله ﷺ في تجهيز جيش العسرة مالَ أبي بكر كُلَّه، ونصفَ مال عمر، والكثير من مال ابن عوف، والذهبَ الكثير الذي صبَّه عثمانُ في حجر رسول الله ﷺ، فجعل يقلبه بيديه راضياً داعياً، ويقول: ما ضَرَّ عثمانَ ما فعل بعد اليوم.

قال في «فتح الباري»[2]: «والجمعُ بين كلام ابنِ عُمر ـ أي في جواز الادّخار ـ وحديثِ أبي ذر ـ أي في التنفير منه ـ أن يُحملَ حديث أبي ذر على ما تحت يد الشخص لغيره، فلا يحب أن يَحْبِسَهُ عنه؛ أو يكونُ له، لكنه ممن يرجى فضله، وتطلب عائدته، كالإمام الأعظم (الخليفة) فلا يُحِب أن يَدّخِر عن المحتاجين من رعيته شيئاً.

ويُحمل حديث ابن عُمر على مال يملكه قد أدّى زكاته فهو يحب أن يكون عنده ليَصِلَ به قرابتَه، ويستغنيَ به عن الناس» اهـ.

ثم إن قول رسول الله ﷺ عن أبي ذر: «يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده» يُشير إلى أن مذهبه لا يصلح للمجتمع، لهذا

---

(١) بإسقاط الحج أيضاً، فالحقُّ أن في مذهب أبي ذر احتمالاً وغموضاً، فمثله لا يجهل مثل هذا.

(٢) ٣: ٢٧٣.

طَلَب من عثمان أن يُسَيِّره إلى الرَّبَذة، ففعل، وأجرى عليه ما يكفيه، لا كما يزعم بعض الكتاب المغرضين من نفيه وحرمانه.

وكذا فيما رواه ابن سعد في «الطبقات» بسنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحبّ لك ما أحبّ لنفسي، لا تأمّرنّ على اثنين، ولا تَولَّيَنَّ مال يتيم» دليلٌ على أنه غير أهل للحكم، ولا مذهبه بصالح للتطبيق.

* * *

مروءة وكرم

«بلال بن سعد»

كان بلال بن سعد إذا قفل غازياً يتوسّم الرفاق، فإذا رأى رفقةً تُوافقه قال: يا هؤلاء إني أريد أن أصحبكم على أن تُعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون: ما هنّ؟ قال: أكون لكم خادماً لا ينازعني أحدٌ منكم الخدمة، وأكون مؤذناً لا ينازعني أحدٌ منكم الأذان، وأُنفق عليكم بقدر طاقتي، فإذا قالوا: نعم انضمّ إليهم، فإنْ نازعه أحدٌ منهم شيئاً من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

«المعرفة والتاريخ» ٢ : ٧٣.

* * *

إحدى سَوْآتِك يا مقداد

قال المقداد بن الأسود: جئت أنا وصاحبان لي قد كادت تذهب أسماعُنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نَعرِض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى رَحْله، ولآل محمد ﷺ ثلاث أعنز يحتلبونها، فكان النبي ﷺ يوزع اللبن بيننا، وكنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه، فيجيء فَيُسَلِّم تسليماً يُسمع اليقظان، ولا يوقظ النائم، فقال لي الشيطان: لو شربتَ هذه الجرعة فإن النبي ﷺ يأتي الأنصارَ فيُتْحِفُونه، فما زال بي حتى شربتُها، فلما شربتُها نَدَّمني، وقال: ما صنعت؟ يجيء محمد ﷺ فلا يجد شرابه، فيدعو عليك فتَهْلِك، وأما صاحباي فشربا شرابهما وناما، وأما أنا فلم يأخذني النوم، وعليَّ شملةٌ لي إذا وضَعتُها على رأسي بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدميّ بدا رأسي.

وجاء النبي ﷺ كما كان يجيء، فصلّى ما شاء الله أن يصلي، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئاً، فرفع يده، فقلت: يدعو عليَّ الآن فأهْلِك، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهم أطْعِمْ من أطعمني، واسْقِ من سقاني، فأخذتُ الشفرة، وأخذتُ الشَّمْلَة، وانطلقت إلى الأعنز أجُسُّهنّ أيّتهنّ أسمن كي أذبَحه لرسول الله ﷺ، فإذا حُفَّلٌ كُلُّهن، فأخذت إناء لآل محمد ﷺ، كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، فحلبتُه حتى عَلَتْه الرَّغْوةُ، ثم أتيت رسول الله ﷺ فشرب، ثم ناولني فشربتُ،

ثم ناولته فشرب، ثم ناولني فشربتُ، ثم ضحكتُ حتى أُلقِيت إلى الأرض، فقال لي: إحدى سوآتك يا مقداد، فأنشأت أحدّثه بما صنعتُ، فقال رسول الله ﷺ: ما كانت إلا رحمةٌ من الله عز وجل، لو كنتَ أيقظتَ صاحبَيْكَ فأصابا منها، قلت: والذي بعثك بالحق ما أُبالي إذا أصبتَها أنت، وأصبتُ فَضْلتَك مَنْ أخطَأَتْ من الناس.

«حلية الأولياء» ١ : ١٧٤ .

* * *

قـط رحيم

يُحكى أن ابن بابشاذ النحوي كان يوماً في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئاً وعنده ناس، فحَضَرهم قطٌّ فقدّموا له لقمة فأخذَها في فيه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئاً آخر، ففعل كذلك، وتردّد مراراً كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب ثم يعود من فوره، حتى عجبوا منه وعلموا أنّ مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته، فلما استرابوا حاله تبعوه، فوجدوه يَرْقَى إلى حائط في سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضعٍ خال صوب بيت خراب، وفيه قطُّ آخر أعمى، وكلّ ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القطّ، ويضعه بين يديه وهو يأكله، فعجبوا من تلك الحال.

«من أخلاق العلماء» ص ٨٧ .

* * *

وسام من عصا

قال عبد الله بن أُنَيْس: دعاني رسولُ الله ﷺ، فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيح الهذليّ يجمع لي النّاسَ ليغزوني وهو بعُرَنَة[1] فائته فاقتله، قال: قلت: يا رسول الله انْعَتْهُ لي حتى أعرفه، قال: إذا رأيتَه وجدتَ له قُشَعْريرة. قال: فخرجتُ متوشحاً سيفي حتى وقعتُ عليه وهو بعُرَنَة مع ظُعُن[2] يرتاد لهن منزلاً حين كان وقت العصر، فلما رأيتُه وجدتُ ما وصفَ لي رسول الله ﷺ من القُشَعْريرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصليتُ وأنا أمشي نحوه أومىء برأسي للركوع والسجود.

فلما انتهيتُ إليه قال: مَنِ الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك، قال: أجل. أنا في ذلك.

قال: فمشيتُ معه حتى إذا أمكنني حملتُ عليه السيفَ حتى قتلتُه، ثم خرجت وتركتُ ظعائنَه مُكِبَّاتٍ عليه.

فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ فرآني قال: أفلح الوجه، قال: قلتُ: قتلتُه يا رسول الله، قال: صدقت، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: أمْسِكْ هذه عندك

(١) موضع عند الموقف بعرفات.
(٢) الظُّعنُ: النّساء، واحدتُها: ظعِينة.

يا عبد الله بن أنيس.

قال: فخرجتُ بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولاَ ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأَله عن ذلك.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لِمَ أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك إلى يوم القيامة، إنَّ أقل الناس المتخصّرون[1] يومئذ.

قال: فَقَرَنها عبدُ الله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها، فضمت في كفنه، ثم دُفنا جميعاً.

«البداية والنهاية» ٤ : ١٤٢ .

* * *

---

(١) المِخْصرة ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من عصا أو عكازة أو قضيب وقد يتكىء عليه ا هـ «نهاية».

لعَلَّكِ نُفِسْتِ؟

قال ابن إسحاق: حدثني سليمان بن سُحَيْم، عن أمية بنت أبي الصَّلت، عن امرأة من بني غِفَار، قد سمَّاها لي، قالت:

أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نسوة من بني غِفار، فقلنا: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فَنُداويَ الجرحى، ونُعينَ المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله.

قالت: فخرجنا معه، وكنتُ جاريةً حَدَثَةً، فأردفني رسولُ الله ﷺ على حقيبة رَحْلِه[1]، قالت: فوالله لنَزَل رسول الله ﷺ إلى الصبح، وأناخ، ونزلتُ عن حقيبةِ رَحْلِه، وإذا بها دمٌ مني، وكانت أولَ حَيْضَةٍ حِضْتُها، قالت: فَتَقَبَّضْتُ إلى الناقة واستحييتُ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي، ورأى الدم، قال: مالَكِ لعلَّكِ نُفِسْتِ[2]؟ قالت: قلت: نعم، قال: فأَصْلِحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء، فاطْرَحِي فيه مِلْحاً، ثم اغْسِلِي به ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبكِ.

---

(١) مؤخر القتب.
(٢) نُفِسْتِ: أي حِضْتِ.

قالت: فلما فَتَحَ رسولُ الله ﷺ خَيبرَ رَضَخَ[1] لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي تَرَيْنَ في عنقي فأعطانيها وعَلَّقها بيده في عنقي، فواللّه لا تفارقني أبداً.

قالت: فكانتْ في عنقها حتى ماتت، ثم أوصَتْ أن تُدفَن معها، قالت: وكانت لا تطهر من حَيْضَةٍ إلا جَعَلَتْ في طَهُورِها مِلْحاً، وأوصت به أن يُجْعَلَ في غُسْلها حين ماتت.

«سيرة ابن إسحاق» ٣: ٣٩٥.

* * *

لا أبالي إذْ سَلِمْتَ مَنْ عَطِب

قال أنس بن مالك: لما كان يومُ أحد حاصَ أهل المدينة حَيْصَة[2]، وقالوا: قُتِلَ محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأةٌ من الأنصار محرمة فاسْتُقْبِلَتْ بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا أدري أيُّهم اسْتُقْبِلَتْ به أولاً فلما مَرَّتْ على أحدهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوكِ أخوكِ زوجكِ ابنكِ، تقول: ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟

يقولون: أمامَك، حتى دَفعَت إلى رسول الله ﷺ، فَأَخَذَتْ بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذْ سَلِمْتَ مَنْ عَطِبَ.

---

(١) الرضخ: العطية القليلة.

(٢) أي: جالوا جَوْلةً يطلبون الفِرار.

رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

«مجمع الزوائد» ٦: ١١٥.

فأين اللّه؟!

خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابٌ له، فوضعوا له سفرة له، فمرَّ بهم راعي غنم، قال: فسلّم، فقال له ابن عمر: هَلُمَّ يا راعي، هَلُمَّ فأصِبْ من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحارِّ الشديد سَمُومُه وأنت في هذا الحال ترعى هذه الغنم؟ فقال له: إني والله أبادر أيامي في هذه الخالية!!

فقال له ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها فتفطر عليه؟ فقال: فما عسى سيّدُك فاعلاً إذا فقدها فقلتَ: أكلها الذئب؟ فولّى الراعي عنه وهو رافعٌ إصبعيه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟!

قال: فجعل ابن عمر يردّد قولَ الراعي وهو يقول: قال الراعي: فأين الله؟ قال: فلما قدم المدينة بَعَثَ إلى مولاه فاشترى منه الغنمَ والراعيَ، فاعتق الراعي، ووهب منه الغنم.

«تاريخ دمشق لابن عساكر» ٧٦.

* * *

الحرص على العلم

«ابن عباس»

قال ابن عباس: لمّا قُبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار: هلُّم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ فيهم؟

قال: فتَرَكَ ذلك، وأقبلتُ أسألُ أصحابَ رسول الله ﷺ عن الحديث، فإنْ كان ليبلغني الحديثُ عن الرجل فآتي بابه وهو قائلٌ[1] فأتوسّد ردائي على بابه تسفي عليّ الرياح من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عمّ رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلتَ إليَّ فآتيكَ؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك؛ فأسألُه عن الحديث.

فعاش ذلك الرجلُ الأنصاريُّ حتى رآني وقد اجتمع الناسُ حولي يسألوني. قال: هذا الفتى كان أعقل مني.

«المعرفة والتاريخ» ١: ٥٤٢.

* * *

(١) نائم ظُهْراً.

حِلْمٌ عجيبٌ

«الوليد بن عتبة بن أبي سفيان»

قال ابن عباس: ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة والياً، وكأنّ وجهه ورقة من ورق المصاحف، فوالله ما ترك فينا عانياً[1] إلا فَكّه، ولا غريماً إلا أدى عنه، ينظر إلينا بعين أرقّ من الماء، ويكلمنا بكلام أحلى من الجَنَى، ولقد شَهدتُ منه مشهداً لو كان من معاوية لذكَرته[2] به. تغدينا عنده يوماً، فأقبل الخَبَّاز بالصحفة، فعثر بالوسادة، فَنَدَرَتِ الصحفةُ من يده، فوالله ما ردَّها إلا ذَقَنُه، وصار ما فيها في حِجْره. ومَثَلَ الغلامُ قائماً ما معه من روحه إلا ما يُقيم رِجْلَه، فقام فدخل فَغَيَّر ثيابه، وأقبل إلينا تبرق أسارير وجهه، فأقبل على الخبَّاز فقال: يا بائس! ما أُرانا إلا قد رَوَّعناك؛ أنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى.

«ربيع الأبرار» ٢ : ١٣.

---

(١) أي: سجيناً.

(٢) لمدحتُه.

يُؤثِر كلباً فيُوهَب ضَيْعة!!

خرج عبد الله بن جعفر إلى حيطان[1] المدينة، فبينما هو كذلك إذْ نـظر إلى أسودَ على بعض الحيـطان، وهو يـأكل وبين يـديه كلب، وعبدُ الله بن جعفر واقف على دابته ينظر إليه.

فلما فرغ دنا منه فقال له: يا غلام، لمن أنت؟ فقـال: لورَثَـةِ عثمانَ بنِ عفان، فقال: لقد رأيت منك عَجَباً، فقال له: ومـا الذي رأيت من العَجَب يا مولاي؟ قال: رأيتك تأكل، فكُلَّمـا أكلت لقمة رميتَ للكلب مِثْلها، فقال له: يا مولاي، هو رفيقي منذ سنين، ولا بُدَّ أن أجعله كأسوتي في الطعام، فقال له: فدون هذا يَجزيك؟ فقال له: يا مولاي، والله إني لأستحيي من الله أن آكل وعينٌ تنظر إليّ لا تأكل.

ثم مضى عنـه حتى أتى ورثة عثمـان بن عفان، فنـزل عندهم، فقال: جئت في حاجة، فقالوا: وما حاجتُك؟ قال: تبيعوني الحائط الفلاني، فقالوا له: قد وهبناه لـك، فقال: لستُ آخـذه إلا بضِعْفٍ فباعوه، فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود؟ فقالوا له: إنَّ الأسود ربيناه وهو كأحدنا، فلم يزل بهم حتى باعوه، وانصرف عنهم.

---

(١) بساتين.

فلما أصبح الصبح غدا على الغلام وهو في الحائط، فخرج إليه، فقال له: أشَعَرْتَ أني قد اشتريتك واشتريت الحائط من مواليك؟ فقال له: بارك الله فيما اشتريت، ولقد غَمَّني مفارقتي لمواليّ، إنهم ربَّوْني، فقال له: فأنت حُرٌّ والحائط لك.

فقال: إن كنت صادقاً يا مولاي، فاشْهَدْ أني قد أوقفتُه على ورثة عثمان بن عفان، قال: فتعجب عبد الله بن جعفر منه، وقال: ما رأيتُ كاليوم! فقال: بارك الله فيه، ودعا له ومضى.

«تاريخ دمشق» لابن عساكر ص ٤٨.

* * *

جوار سعيد بن العاص

باع أبو الجهم العَدوي داره بمئة ألف درهم، ثم قال: فبكم تشترون جِوار سعيد بن العاص؟ قالوا: وهل يُشترى جِوار قط؟ قال: رُدُّوا عليَّ داري ثم خذوا مالكم، لا أدع جِوار رجل إن قعدت سأل عني، وإن رآني رحَّب بي، وإن غبتُ حفظني، وإن شَهِدتُ قَرَّبني، وإن سألتُه قَضَى حاجتي، وإن لم أسأله بدأني، وإن نابتني جائحةٌ فرّج عني، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمئة ألف درهم.

«وفيات الأعيان» ٢ : ٥٣٥.

* * *

لا يعرف الحلو والحامِض؟!

يُحكى عن والد عبد الله بن المبارك أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زماناً، ثم إنَّ مولاه جاءه يوماً وقال له: أريد رُماناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رماناً فكسره فوجده حامضاً، فحَرِد[1] عليه وقال: أطلُبُ الحلوَ فتحضرُ لي الحامض؟ هات حلواً، فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره وجده أيضاً حامضاً فاشتد حَرَدُه عليه، وفعل كذلك دفعة ثالثة.

فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحُلْوَ من الحامض؟ فقال: لا، فقال: كيف ذلك؟ فقال: لأنني ما أكلتُ منه شيئاً حتى أعرفه، فقال: ولِمَ لَمْ تأكل؟ قال: لأنك ما أذِنتَ لي، فكشف عن ذلك فوجد قوله حقاً، فَعَظُمَ في عينه، وزوَّجَهُ ابنته، ويقال: إن عبد الله رُزقه من تلك الابنة، فتَمَّتْ عليه بركةُ أبيه.

«وفيات الأعيان» ٣: ٣٢.

(١) أي: غَضِبَ.

الرجوع إلى الحق...

وحكى أبو الحسن الدارقطني أنه حضر في مجلس إملاء أبي بكر بن الأنباري يوم جمعة، فصَحَّف اسماً أورده في إسناد حديث، إمّا كان حيّان فقال حبان، أو حبان فقال حيان، قال الدارقطني: فأعظمتُ أنْ يُحمل عن مثله في فضله وجلالته وَهَمٌ، وهِبْتُ أن أوقفه على ذلك، فلما انقضى الإملاءُ تقدمتُ إلى المُسْتَمْلي فذكرت له وَهَمَه، وعَرَّفْتُ صوابَ القول فيه، وانصرفتُ.

ثم حضرتُ الجمعةَ الثانية مجلسه، فقال أبو بكر: عَرِّفْ جماعة الحاضرين أنّا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا، وعَرِّفْ ذلك الشاب أنّا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال.

«وفيات الأعيان» ٣: ٣٤١.

* * *

الاعتراف بالحق فضيلة

قال عبد الرحمن بن مهدي: ذاكرتُ عُبَيْد الله بن الحَسَن القاضي بحديثٍ وهو يومئذ قاضٍ فخالفني فيه، فدخلتُ عليه وعنده الناسُ سماطين، فقال لي: ذلك الحديثُ كما قلتَ أنت، وأرجعُ أنا صاغِراً!!

«جامع بيان العلم وفضله» ١: ١٣٣.

* * *

من مجالس التحديث

قال ابنُ أبي حاتم: سمعتُ أبي يقول: سليمان بن حرب إمام من الأئمة، ولقد حضرتُ مجلسه ببغداد، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل، وكان مجلسه عند قصر المأمون، فبُني له شبه منبر، فصعِد سليمان وحضر حوله جماعةٌ من القُوّاد عليهم السواد، والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر، وقد أُرسل سترٌ يشف وهو خلفه يكتب مما يملي.

فسُئل أولَ شيء حديثَ حَوْشَب بن عقيل، فلعله قد قال: حدثنا حَوْشَب بن عقيل أكثر من عشر مرات، وهم يقولون: لا نسمع، فقال: مستملي، ومستمليان، وثلاثة، كل ذلك يقولون: لا نسمع حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي!

فذهب جماعة فأحضروه، فلما حضر قال: مَنْ ذَكَرْتَ؟ فإذا صوتُه خلاف الرعد، فسكتوا، وقعد المستملون كلهم، فاستملى هارون.

«الجرح والتعديل» ج ٢ ق ١٠٨١.

* * *

واو الأصداغ[1]

سأل المأمونُ اليَزيديّ[2] عن شيء فقال: لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين، فقال: لله درّك! ما وُضعت الواو قطّ في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا، ووَصَله وحمّله.

«وفيات الأعيان» ٦: ١٨٥.

* * *

(١) الشعر المفتول في الصدغ يزين الوجه جمالاً، وسَمّوا هذه الواو: واو الأصداغ لأنها جَمَّلت الكلام، ولولاها لفسد.

(٢) هو يحيى بن المبارك العَدَويّ عالم بالعربية والأدب، من أهل البصرة، وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري ــ خال المهدي ــ يؤدب ولده، فنُسب إليه، واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون، توفي سنة ٢٠٢ هـ.

تكلموا تُعرفوا (١)

قال رجل لأبي حنيفة: متى يَحرم الطعام على الصائم؟ قال: إذا طلع الفجر، قال: وإذا طلع الفجر نصف الليل؟ قال: قم يا أعرج!!

«أخبار الحمقى والمغفلين» ص ١٤٢.

* * *

تكلموا تعرفوا (٢)

كان رجل يجلس إلى أبي يوسف، فيُطيل الصمت فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم؟ فقال: بلى، متى يُفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإنْ لم تَغِبْ إلى نصف الليل؟ قال: فضَحِك أبو يوسف، وقال: أصبتَ في صمتك، وأخطأتُ أنا في استدعاء نُطْقك[1]!

«تاريخ بغداد» ١٤ : ٢٤٨.

* * *

(١) قال سيدنا علي كرّم الله وجهه تَكلموا تُعرفوا.

وقال زهير بن أبي سُلمى:

وكائِنْ تَرى من صامتٍ لك مُعْجَبٍ   زيادتُه أو نَقْصُه في التكَلُّمِ

ذكاء عجيب

«أبو دُلَف»

قال الحسن بن سهل: كُنا في موكب المأمون، فترجّل له أبو دُلَف، فقال له المأمون: ما أخَّرَك عنّا؟ قال: عِلَّةٌ عَرَضَتْ. فقال: عافاك اللَّهُ وشفاك، اركبْ، فوَثَبَ من الأرض على ظهر الفرس، فقال له المأمون: ما هذه وثبةُ عليل؟! قال: شُفيت بدعاء أمير المؤمنين(١).

«تهذيب التهذيب» ٨: ٣٢٧.

* * *

(١) يقرب من هذا قولُ الشاعر:

مَرض الحبيبُ فزُرْتُهُ ... فَمرضْتُ مِنْ حَذَري عَلَيْهْ

شُفى الحبيبُ فعادني ... فشُفيتُ مِنْ نَظري إليهْ

جواب مفحم (١)

وَعَدَ ملكُ الروم القاضيَ أبا بكر بن البَاقِلَّاني بالاجتماع معه في محفل من محافل النصرانية ليوم سَمَّاه، فحضر أبو بكر وقد احتفل المجلس، وبُولغ في زينته، فأدناه الملكُ، وألطف سؤاله، وأجلسه على كرسيه دون سريره بقليل، والملك في أُبَّهتِهِ وخاصته، عليه التاجُ، والذريةُ ورجالُ مملكته على مراتبهم.

وجاء البطرك قِيِّمُ ديانتهم، وقد أوعز الملكُ إليه في التيقظ، وقال له: إن فناخسرو ملك الفرس، الذي سمعت بدهائه وبكرامته، لا ينفذ إلا من يشبهه في رحلته وحيلته، فتحفَّظ منه، وأظهر دينك، فلعلك تتعلق منه بسقطة، أو تعثرُ منه على زلة تقضي بفضلنا عليه.

فجاء البطرك قَيِّمُ الديانة، وولي النِّحْلَة، فسلَّم القاضي عليه أحفلَ سلام، وسأله أحفى سؤال، وقال له: كيف الأهل والولد؟ فعَظُمَ قولُه هذا عليه وعلى جميعهم وتغيّروا له، وصَلَّبُوا على وجوههم، وأنكروا قول أبي بكر عليه.

فقال: يا هؤلاء تستعظمون لهذا الإنسان اتّخاذَ الصاحبة والولد، وتَرْبؤُن به عن ذلك، ولا تستعظمون لربكم عزّ وجهُه، فتضيفون ذلك إليه؟ سوءة لهذا الرأي ما أبينَ غلطَه!

فسُقِطَ في أيديهم، ولم يردّوا جواباً، وتداخلْتهم له هيبةٌ عظيمة، وانكسروا، ثم قال الملكُ للبطرك: ما ترى في أمر هذا الشيطان؟ قال: تقضي حاجَته، وتُلاطف صاحبَه، وتبعث بالهدايا إليه، وتخرج العراقي عن بلدك من يومك إنْ قدرتَ، وإلا لم آمن الفتنةَ منه على النصرانية.

ففعل الملك ذلك، وأحسن جواب عضد الدولة، وهداياه، وعجّل تسريحه، ومعه عدة من أسارى المسلمين والمصاحف، ووكّل بالقاضي من جنده من يحفظه، حتى وصل مأمنه.

«ترتيب المدارك» ٢ : ٦٠٠.

جواب مفحم (٢)

بَنى بعضُ أكابر البصرة داراً، وكان في جواره بيتٌ لعجوز يساوي عشرين ديناراً، وكان محتاجاً إليه في توسيع الدار، فبذل لها فيه مئتي دينار، فلم تبعه، فقيل لها: إن القاضي يحجر عليكِ بسَفَهكِ حيث ضَيَّعْتِ مئتي دينار لما يساوي عشرين ديناراً، قالت: لِمَ لا يحجر على من يشتري بمئتين ما يساوي عشرين ديناراً؟! فأفحَمَت القاضي ومَنْ معه جميعاً وترك البيت في يدها حتى ماتت.

«الكشكول» ١ : ٢٨٢.

* * *

عزة العلماء (١)

«الكيس بخاتمه»

لما حَجَّ هارونُ وقدم المدينة، بعث إلى مالك بكيس فيه خمس مئة دينار، فلمّا قَضَى نُسُكَه وانصرف وقدم المدينة، بَعَثَ إلى مالك أنّ أمير المؤمنين يُحِبُّ أنْ تنتقل معه إلى مدينة السلام، فقال للرسول: قُلْ له إن الكيس بخاتمه، وقال رسول الله ﷺ: «والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون».

«جامع بيان العلم وفضله» ١ : ١٨٦ .

عزة العلماء (٢)

«عطاء بن أبي رباح»

كان عطاء بن أبي رباح عبداً لامرأة من مكة، أسود، أعور، أفطس، أشلّ، أعرج، ثم، عمي، مفلفل الشعر كأنّ أنفه باقلاء.

حُكي أنَّ سليمانَ بن عبد الملك أميرَ المؤمنين جاءه هو وولداه، فجلسوا إليه وهو يصلّي، فلما صلّى انفتل إليهم وما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قُوما، فقاما، فقال: يا بَني لا تَنِيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود.

«من أخلاق العلماء» ص ١٣١ .

* * *

عزة العلماء (٣)

«حماد بن سلمة»

قال مقاتل بن صالح الخُراساني: دخلتُ على حمَّاد بن سَلمة رضي الله تعالى عنه، فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجِراب فيه عِلْمُه، ومِطْهرة يتوضأ فيها!!

فبينا أنا عنده إذْ دَقَّ داقٌّ الباب.

فقال: يا صبيّة[١] اخرجي فانظري مَنْ هذا؟

قالت: هذا رسول محمد بن سُلَيْمان[٢].

قال: قولي له: يدخل وحده، فدخل وسلّم، وناوله كتاباً، فقال: اقرأهُ، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سُلَيمان إلى حماد بن سلمة.

أمّا بعد، فصبّحك الله بما صَبَّح به أولياءَه، وأهلَ طاعته، وقعتْ مسألةٌ فإنّا نسألك فيها.

فقال: يا صبية، هلمي بالدواة، ثم قال: اكتب في ظهر الكتاب أما بعد، فأنت صَبَّحك بما صَبَّح به أولياءَه، وأهل طاعتِه، أدْركْنا

---

(١) الصبية: هي الجارية الصغيرة.

(٢) هو أمير البصرة، وليَها في أيام المهدي، وتوفي سنة ١٧٣ هـ.

العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن وقعتْ مسألةٌ فائتنا فتسألنا عمّا بدا لك! وإنْ أتيتني فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخَيْلِك ورَجِلك فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي، والسلام.

فبينا أنا عنده جالس إذْ دَقَّ داقٌّ الباب، فقال: يا صبية اخرجي فانظري مَنْ هذا؟

فقالت: محمد بن سُلَيْمان.

قال: قولي له: يدخل وحده!

قال: فدخل فسلّم، ثم جلس بين يديه، فقال: ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رعباً؟

فقال حماد: سمعتُ ثابتاً ـ يعني البُنَانِيّ ـ يقول: سمعت أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العالم إذا أراد بعلمه وجْهَ اللَّهِ هابه كُلُّ شيء[1]، وإذا أراد أن يَكْتَنِزَ به الكنوز هاب من كل شيء».

فقال: ما تقول ـ يرحمك الله في رجل له ابنان، وهو عن أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟

فقال: لا، ويرحمك الله فإني سمعت ثابتاً البُنَانِيَّ يقول: سمعتُ أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله عز وجل إذا أراد أن يعذب عبداً بماله وفقه عند موته لوصية جائرة».

---

(١) في مثل هذا يقول الشاعر:

إن الملوك ليحكمون على الورى وعلى الملوك لتحكم العلماءُ

قال: فحاجةً؟؟ قال: هاتِ ما لم تكن رزية في دين!

قال: أربعين ألف درهم تستعين بها على ما أنت عليه.

قال: اردها على من ظلمته بها.

قال: والله ما أعطيتُك إلا ما ورثتُه.

قال: لا حاجة لي فيها!

قال: ازْوِها عني، زوى الله عنك أوزارك!

قال: فغيرَ هذا؟

قال: هاتِ ما لم يكن رزيةً في دين الله.

قال: تأخذها فتقسمها.

قال: فلعلّي إنْ عدلت في قِسْمتِها أنْ يقول بعضُ من لم يُرزق منها: إنه لم يعدل في قِسْمتها فيأثم، ازْوِها عني زَوَى اللَّهُ عنك أوزارك!!!

«بستان العارفين» للنووي ص ٩٢.

* * *

عزة العلماء (٤)

«داود الطائي»

قَدِم محمدُ بن قَحْطبة الكوفةَ فقال: أحتاج إلى مُؤَدّبٍ يُؤدّب أولادي، حافظٍ لكتاب الله تعالى، عالمٍ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ، وبالآثارِ، والفقهِ، والنحوِ والشعرِ وأيام الناس، فقيل له: ما يَجْمَعُ هذه إلّا داودُ الطائي، فَسيَّر إليه بَدْرَةً: عشرَة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فرَدَّها، فوجَّه إليه بَدْرَتَيْنِ مع غلامَيْنِ مملوكَيْنِ، وقال لهما: إن قَبِلَ البَدْرَتيْنِ فأنتما حُرَّان.

فمضيا بهما إليه، فأبى أن يقبلهما، فقالا: إنَّ في قبولهما عِتْقَ رقابنا من الرّقّ، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وَهْقُ[1] رقبتي في النار، ردَّاهما إليه وقولا له: إنَّ ردَّهما على مَنْ أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

«وفيات الأعيان» ٢ : ٢٦٠ .

* * *

(١) أي: حَبْسُ.

عزة العلماء (٥)

من يمد رجله...

لما قدم السلطان عبد العزيز العثماني مصر زار الجامع الأزهر، وصحبه الخديوي إسماعيل، فلَحظَ الخديوي على شيخ بالجامع كأنه غير مهتمّ، فهو مُسْنِدٌ ظَهْرَه، مادّ رِجْلَه. فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلَّف أحد رجاله وقد أراه الشيخ أن يذهب له بصُرَّةٍ يريد أن يعرف حالَه، فلما جاء الرسول ليعطيه قَبَضَ الشيخُ عنه يدَه، وقال له: قُلْ لمن أرسلك: إنَّ مَنْ يَمُدُّ رِجْلَه لا يَمُدُّ يَده.

«من أخلاق العلماء» ص ١٦٩.

* * *

خدمة العلماء (٦)

«الفــراء»

كان المأمون قد وكَّل الفرَّاء أن يُلَقِّن ابنيه النحو، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجـه، فابتـدرا إلى نعل الفـراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يُقدّمه، فاصطلحا على أن يُقدّم كلٌّ واحد منهما فَرْداً، فقدّماها.

وكان المأمون له على كل شيء صاحبُ خبر، فرُفع ذلك الخبر إليه، فوجّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال: مَنْ أعزّ الناس؟ قال: ما أعرف أعزّ من أمير المؤمنين قال: بلى مَنْ إذا نهض تَقَاتَل على تقديم نَعْلَيْهِ وليّا عَهْدِ المسلمين حتى رضي كلٌّ واحد أن يقدّم له فَرْداً!

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما عن ذلك، ولكنْ خشيتُ أنْ أدفعهما عن مكرمة سبَقا إليها، أو أكسرَ نفوسهما عن شريعة حَرَصا عليها، وقد رُوي عن ابن عباس أنه أمسك للحَسَن والحُسَيْن رضي الله عنهم أجمعين ركابَيْهما، حين خرجا من عنـده! فقال لـه بعض مَنْ حَضَر: أتُمسك لهذيْنِ الحدَثينِ ركابَيْهما وأنتَ أسنُّ منهما؟ فقال له: اسكت يا جاهل، لا يَعرف الفَضْلَ لأهل الفَضْلِ إلا ذوو الفضل.

فقال له المأمون: لو منعتَهما عن ذلـك لأوجعتُك لَـوْماً وعتبـاً، وألزمتُك ذَنْباً، وما وَضعَ ما فعلاه من شرفهما، بل رفَع من قدرهما،

وبَيَّن عن جوهرهما، ولقد ظهرت لي مخِيلةُ الفِراسة بفعلهما، فليس يكبُر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالدِه، ومُعَلِّمِه العِلْمَ، وقد عوضتُهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حُسْن أدبك لهما.

«وفيات الأعيان» ٦ : ١٧٨ .

* * *

تكريم العلماء (٧)

«زيد بن ثابت»

ذهب زيد بن ثابت ليركب ووضع رجْله في الركاب فأمسك ابن عباس بالركاب، فقال: تَنحَّ يا ابن عمّ رسول الله ﷺ، فقال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء.

«المعرفة والتاريخ» ١ : ٤٨٤ .

* * *

من كرم العلماء (٨)

«الليث بن سعد»

كان الليث بن سعد يَسْتَغِلُّ عشرين ألف دينار في كل سنة، وقال: ما وجبت عليَّ زكاةٌ قطّ.

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إنَّ ابناً لي عليلٌ، واشتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعْطها مِرْطاً من عسل! والمِرْطُ: عشرون ومئة رطل.

وقال غيره: سألت المرأةُ مناً من عسل، فأمر لها بزِقّ! فقال له كاتبه: إنما سألت مناً! فقال: إنها سألتني على قَدْرها، فأعطيناها على قَدْر السَّعة.

وقال شعيب بن الليث: خرجتُ مع أبي حاجّاً، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رُطب، فجعل على الطبق ألف دينار ورَدَّه إليه!

«وفيات الأعيان» ٤ : ١٣١ .

* * *

من ذكاء العلماء (٩)

«الباقلاني»

كان الملك المُلَقّب بعَضُد الدولة قد بعث القاضي أبا بكر بن الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عُرِّف الملكُ خبرَه، وبُيِّن له مَحَلُّه من العلم وموضعه، فأفكر الملكُ في أمره، وعلم أنه لا يُكَفِّر(١) له إذا دخل عليه، كما جرى رسم الرعية أنْ تُقَبِّل الأرض بين يدي الملوك، ثم نَتَجَتْ له الفِكْرَة: أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يُمَكِّن أحداً أن يدخل منه إلا راكعاً، ليدخل القاضي منه على تلك الحال فيكون عوضاً من تكفيره بين يديه.

فلما وُضع سريرُه في ذلك الموضع، أمَرَ بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان، فلمّا رآه تَفَكَّر فيه، ثم فَطِنَ بالقصة فأدار ظَهْرَه، وحنا رأسه راكعاً، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه، ونصب ظَهْره، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعجب من فطنته، ووقعت له الهَيْبَةُ في نفسه.

«تاريخ بغداد» ٥: ٣٧٩.

* * *

(١) التكفير: هو أن ينحني الإنسان ويُطأطىء رأسَه قريباً من الركوع، كما يَفعل من يريد تعظيم صاحبه.

سطوة العلماء (١٠)

أمَـرَ السلطانُ سليم خان بقَتْـلِ مئة وخمسين رجـلاً من حفّـاظ الخزائن، فتنبّه لذلك المـولى علاء الـدين علي بن أحمد بن محمـد الجَمَالي المفتي، فذهب إلى الديوان العالي، ولم يكن من عادتهم أن يـذهب المفتي إلى الديـوان العالي إلا لحـادث عظيم، فَتَحيَّـر أهلُ الديوان.

ولمّا دخل الديوان سَلَّمَ على الوزراء فاستقبلوه وأجلسوه في صدر المجلس، ثم قالوا له: أي شيء دعا المولى إلى المجيء إلى الديوان العالي؟ قال: أُريد أن أدخل على السلطان، ولي معه كلام، فعرضوه على السلطان سليم خان فأذِنَ له وحده.

فدخل وسَلَّمَ عليـه وجلس، ثم قال: وظيفـةُ أرباب الفتـوى أن يُحـافظوا على آخـرة السلطان، وقد سمعتُ أنـك أمـرتَ بقتـل مئـة وخمسين رجلاً لا يجوز قَتْلُهم شرعاً، فعليك بالعفـو عنهم، فغضب السلطان، وكان صاحبَ حِـدَّة، وقال: إنـك تتعرّض لأمـر السلطنة، وليس ذلك من وظيفتك، قال: لا، بل أتعرّضُ لأمر آخرتك، وإنه من وظيفتي، فإنْ عفوتَ فلك النجاةُ، وإلا فعليك عقابٌ عظيم.

فانكسرتْ عند ذلك ثورةُ غضبه، وعفا عن الكُلّ، ثم تحدّث معه ساعة، ولما أراد أن يقوم قال له: تَكَلَّمْتُ في أمر آخرتك، وبقى لي

كلامٌ متعلق بالمروءة، قال السلطان: وما هو؟ قال: إنّ هؤلاء من عبيد السلطان، فهل يليق بعِرض السلطنـة أن يتكففوا النـاس؟ قال: لا، قال: فَقَرِّرْهم في مناصبهم، فقبله السلطان، وقال: إلا أني أعذّبهم لتقصيرهم في خدمتهم، قال المولى: هذا جائز، لأن التعزير مفوّض إلى رأي السلطان، ثم سلّم عليه وانصرف وهو مشكور.

«من أخلاق العلماء» ص ٩٢.

* * *

سطوة العلماء (١١)

لمّا وقعت الحربُ بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قُوّاد جيوشها، ضاق صَدْر الخديوي إسماعيل لذلك.

فركب يوماً مع شريف باشا وهو مُحرج، فأراد أن يُفَرّج عن نفسه، فقال لشريف باشا: ماذا تَصْنَعُ حينما تُلِمُّ بك مُلِمَّةٌ تُريد أنْ تدفعها؟ فقال: يا أفندينا، إنَّ الله عَوَّدني إذا حاق بي شيءٌ من هذا أنْ ألجأ إلى «صحيح البخاري» يقرؤه لي علماء أطهارُ الأنفاس، فيفرّج الله عني.

قال: فكَلَّم شيخَ الجامع الأزهر، وكان الشيخَ العروسي، فجَمَعَ له من صلحاء العلماء جَمْعاً، أخذوا يتلون في «البخاري» أمام القبلة القديمة في الأزهر.

قال: ومع ذلك ظَلَّتْ أخبارُ الهزائم تتوالى، فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إلى العلماء وقال لهم مُحنقاً إمّا أنَّ هذا الرأي الذي تقرؤونه ليس صحيحَ البخاري، أو أنكم لستم العلماءَ الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح؟ فإن الله لم يَدْفَعْ بكم ولا بتلاوتِكم شيئاً!

فوَجَمَ العلماءُ لذلك، وابتدره شيخٌ من آخر الصفّ يقول له: منك يا إسماعيل، فإنا روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «لتَأْمُرُنَّ بالمعروف، ولَتَنْهوُنَّ عن المنكر، أو ليُسَلِطَنَّ الله عليكم شِراركم، فيَدْعُو خيارُكم،

فلا يستجاب لهم» أو كما قال.

فزاد وجومُ المشايخ، وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم ينبِسا بكلمة، وأخذ العلماءُ يلومون القائل ويؤنّبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخُ القائل للخديوي ما قال؟ فقال: أنا، فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخَ يُودّعونه وداعَ مَنْ لا يأملون أنْ يرجع.

وسار شريف باشا بالشيخ إلى أنْ دخلا على الخديوي في قصره، فإذا به قاعدٌ في البهو، وأمامَه كرسيٌّ أجلَسَ عليه الشيخَ، وقال له: أعِدْ يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر، فأعاد الشيخُ كلمتَه، ورَدَّدَ الحديثَ وشرَحَهُ، فقال له الخديوي: وماذا صَنَعنا حتى يَنزل بنا هذا البلاء؟ قال له: يا أفندينا، أليست المحاكمُ المختلطةُ قد فُتحت بقانون يُبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخَمْرُ مُباحاً؟ أليس أليس... وعَدَّدَ له منكراتٍ تجري بلا إنكار، وقال: فكيف تنتظر النَّصْرَ من السماء؟

فقال الخديوي: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدنيّتهم؟ قال: إذن فما ذَنْبُ البخاريّ، وما حيلةُ العلماء؟

ففكّر الخديوي مَلِيّاً، وأطرق طويلاً، ثم قال له: صَدَقْتَ، صَدَقْتَ، وأمر فرُتّبتْ له في (الرزنامجة) ثلاثون جنيهاً، وعاد الشيخ بعد هذا إلى الأزهر وإخوانهُ قد يئسوا منه، فكأنّما قد وُلِدَ جديداً.

«من أخلاق العلماء» ص ١٠٠.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
بين القرآن والقانون	٧
الشعور بالخطيئة: المرأة الغامدية	٩
محاسبة الضمير: أبو لبابة	١٠
صبر النبوة	١٣
حديث الإفك	١٦
عائشة ومريم	٢٤
عمر يعظ حفصة	٢٥
رحمة عمر	٣٠
ميزاب العباس	٣١
ارفع إزارك	٣٢
ليس من كَدِّك ولا كَدِّ أُمّك	٣٣
قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر	٣٣
وفاء: حديث المزادتين	٣٤
إياك والحلوب: أبو الهيثم	٣٧
الموصول والصلة	٣٩
أبو ذر الغفاري	٤٠
إصرار أبي ذر: غزوة الغابة	٤٦
إكرام الجار	٤٧
تكريم الرقيق والخدم	٤٨
صولح بالرماد	٤٩

الموضوع	الصفحة

مذهب أبي ذر ٥٠
مروءة وكرم: بلال بن سعد ٥٢
إحدى سوآتك يا مقداد ٥٣
قط رحيم ٥٤
وسام من عصا ٥٥
لعلَّك نُفِسْتِ؟ ٥٧
لا أُبالي إذْ سَلِمْتَ مَن عَطِبَ ٥٨
فأين الله؟! ٥٩
الحرص على العلم: ابن عباس ٦٠
حلم عجيب: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ٦١
يُؤثِر كلباً فيُوهَب ضَيْعة!! ٦٢
جوار سعيد بن العاص ٦٣
لا يعرف الحلو والحامِض؟! ٦٤
الرجوع إلى الحق ٦٥
الاعتراف بالحق فضيلة ٦٥
من مجالس التحديث ٦٦
واو الأصداغ ٦٧
تكلموا تعرفوا (١) ٦٨
تكلموا تعرفوا (٢) ٦٨
ذكاء عجيب: أبو دُلَف ٦٩
جواب مفحم (١) ٧٠
جواب مفحم (٢) ٧١
عزة العلماء (١): الكيس بخاتمه ٧٢
عزة العلماء (٢): عطاء بن أبي رباح ٧٢
عزة العلماء (٣): حماد بن سلمة ٧٣
عزة العلماء (٤): داود الطائي ٧٦

الموضوع	الصفحة
عزة العلماء (٥): من يمد رجله	٧٧
خدمة العلماء: الفراء	٧٨
تكريم العلماء: زيد بن ثابت	٧٩
من كرم العلماء: الليث بن سعد	٨٠
من ذكاء العلماء: الباقلاني	٨١
سطوة العلماء: المفتي والسلطان سليم خان	٨٢
سطوة العلماء: الشيخ والخديوي	٨٣
فهرس الموضوعات	٨٦

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

المكتبة المكية

حي الهجرة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١